مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ISSN : 2353-046
المجلد5 ، العدد10، (جوان 2017) EISSN : 2600-6421

جـــدليـة الــو اقع والــفن فـي رو ايـة مملكة الفـراشة" لـواسيني الأعرج"

د. آسيــة متلـــــف
جامعة حسيبة بن بوعلي _الشلف

الملخص باللغة العربية:

جدلية الواقع والفن في رواية "مملكة الفراشة لواسيني الأعرج"

تروم هذه الورقة النقدية إلى سبر أغوار نص روائي متميز في مبناه وفي متخيله وواقعه وهي " رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج ، فهي رواية البحث عن الذات في عالم تملؤه الحروب والمتناقضات ، هي رواية التلاشي بين طيات الروح والجسد ، إذ استطاع الروائي بحبكته الفنية رسم عالم سردي متشابك في حيثياته مبني على جدلية الواقع والكتابة الفنية المشفوعة بعبق التحرر.

Abstract

The present paper aims to explore the depth of a particular narrative text in terms of its structure, its imagination and its reality. It is about Ouassini Arej ‘s Novel " *The Butterfly Kingdom*” which is regarded as the novel of self researching and understanding in a world full of wars and contradictions. It is the novel of vanishing between the soul and the body. As well as, through his artistic plot, the novelist could portray a synaptic narrative world based on reality dialectic and artistic writing, characterized by the fragrant of liberalness.

تعدُ الرواية نصاً سردياً ينبثق من رؤى خاصة وأفكار عميقة ومواقف فلسفية تتشكل ضمن رؤية فنية وموضوعية ذات امتدادات مختلفة ومتنوعة، ومن البديهي أن ارتباط نص ما بالواقع الاجتماعي وبالقضايا المصيرية التي تواجهها يحتم على الروائي محاولة ربط الأثر الأدبي بهذا الواقع دون تجاوز القيمة الأدبية له، إذ لابد أن يتمتع الروائي بقدرة

إبداعية تساهم في خلق تفاعل حي بين الموقف الفكري إزاء مجتمعه والبناء الدرامي للنص الذي يعبِّرُ عن فهم الأديب لدور الأدب ووظيفته.

لذلك اتجهت هذه المقاربة النقدية لنص"مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج " إلى البحث عن بنية الشكل الفني في هذا الخطاب الأدبي وصولاً إلى مضمونه ولاسيما أن الروائي واسيني الأعرج قد بنى نصه هذا على مجموعة من إيحاءات استندت للوضع الجزائري بداية والإنسان العربي وما يعيشه ثانيا بحيث تصبح تأثيرات الحروب حقيقة مشتركة في هذه المنطقة، وبذلك يحطم صورة الخطاب التقليدي المؤسس على الانسجام والوضوح ، فهل استطاع واسيني الأعرج أن يوازن بين الواقع وبين وبين جمالية الكتابة الفنية؟

الرو اية الجز ائرية بين الو اقع والفن:

حاولت الرواية الجزائرية مسايرة الواقع على امتداد التغيرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، فالرواية تبدو وكأنها "مؤسسة أدبية ثابتة الكيان فهي الجنسُ الأدبي الذي يعبرُ بشيء من الامتياز عن مؤسسات مجموعة اجتماعية، وبنوع من رؤية العالم الذي يجرُّه معه ويحتويه في داخله"[1]، والملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صيغت بصبغة ثورية خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا ما نجده في عقد السبعينات، وبعدها دخلت مرحلة جديدة فيها ثورة وانهزام وانكسار، إذ انطلق الكتاب من الواقع الذي عاشوه وعايشوه في زمن من الأزمة فاصطلح عليه" بأدب الأزمة"[2].

لذلك تميّزت الرواية في هذه الفترة بجرأة الطرح ومحاولة الخوض في تضاريس الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته إلى جانب البناء الفني المتشابك في صوره ولغته وأسلوبه بحيث استطاع الروائيون استلهام الأحداث والشخصيات من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب الذي مروا به، فموضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب كان مدار معظم الأعمال الروائية في فترة التسعينات، فيلتقي الطاهر وطار في "الشمعة والدهاليز" مع واسيني الأعرج في "سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة فصور واسيني معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة ويُرجع سبب هذه المعاناة

---

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص48

[2] إدريس بودية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000، ص50.

للتيار المعادي لكل مظاهر التقدم والتحضر." إن الإرهاب في سيدة المقام ليس حديثاً عابراً، ولا مجرد خبر يقرأ أو يصنع بل إنه أحد مكونات المدينة الروائية، فهو عنصر حاضر فيها ولو كان كعنصر هدم لا كعنصر بناء، ولكنّه لا يكتفي بتسجيل حضورها، وإنما يعطيها أيضا بعدها التاريخي والإيديولوجي والسياسي من غير أن يفرط فيما تقتضيه الكتابة الأدبية من خصوصية فنية"[1] وبذلك فقد انعطفت الرواية الجزائرية منعطفاً جديدا كسرت من خلاله نمطية المألوف وسطحية الطرح وسذاجة الرؤية محاولة الدخول في عوالم جديدة تعكس رؤى أصحابها، فاصطبغ الخطاب الروائي بأبعاد إيديولوجية أضفت عليها أبعاداً جمالية وفنية تخدمه في بناءه، ولابد للروائي أن يسيطر على مقاليد مملكته الروائية بحيث لا ينزاح كل الانزياح لخدمة فكرته وقضاياه الاجتماعية متناسياً اللغة والهيكل الفني الذي يسمو بالعمل الأدبي إلى درجة الجمالية الأدبية.

وهذا ما فعله الروائي الجزائري "واسيني الأعرج" في آخر إصدار له "مملكة الفراشة"، حيث حاول أن يقيم مصالحة بين الواقع والفن متمسكاً برأسماله الفني وتطلعاته الجمالية، فسار على نفس الخطى في تبني فكرة التعبير عن مرحلة الحرب الأهلية وما بعدها وما جرته على الوطن والمواطنين من دمار واحتكار بين هيمنة إرادة الرصاص وغياب حلقات التواصل بين قاتل ومقتول يجمعهما وطن واحد.

حاول واسيني الأعرج في روايته هذه أن يؤسس لمرحلة ما بعد الحرب الأهلية التي شهدتها الجزائر، فهي رواية سرد أحداث حرب صامتة بلا ملامح، إذ لا تنطفئ النيران المشتعلة ولكنها تتخفى تحت الرّماد في انتظار انفجارها المشهود، فالكلّ يخاف من الكُل والكُل يحلم بأن ينتقم من الكل، وللكلُّ يتربص بالكلّ يقول واسيني الأعرج: "إن الحروب الأهلية بقدرتها التدميرية لا تغدو مشكلة بحدّ ذاتها فقط ولكن أيضاً بما تخلّفه من أحقاد وشكوك تدفع الناس حتى بعد انتهاءها بسنوات إلى العزلة"[2]، وهذا حقيقة ما فعلتْهُ "ياما" الشخصية الساردة في الرواية والتي صنعت عالماً خاصاً بها من خلال موقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك، والاندماج في عالم مختبرات الأدوية بعد مقتل والدها، بينما اختارت أختها المنفى نحو مدن الشمال ونسيان أرضها برغبتها، أما والدتها فانغمست في عالم الأدب والروايات الفرنسية بعيداً عن العالم الخارجي، وغرقُ "ريان"

[1] مخلوف عامر، أثر الإرهاب في الرواية –مجلة عالم الفكر المجلد، 22 ع 1 سبتمبر 1999، ص304.

[2] الجزيرة نت، حوار مع واسيني الأعرج، wwwaljazeeera.com

في المخدرات، فهل اختارت هذه العائلة النهايات التراجيدية والمآسي بإرادتها، أم هي العزلة التي فرضتها الحرب الأهلية التي شعلت نيراناً لم تنطفئ بل اختفت تحت الرماد فأكبر وهم نعيشه بعد انتهاء أي حرب هو اعتقادنا بأنها فعلاً قد انتهت، فالحرب ثلاثة أنواع كما ذكر واسيني الأعرج". الحرب ثلاثة أنواع : حرب معلنة ومميتة تحرق وتبيد على مرأى الجميع ،نهايتها خراب كلي وأبطال وطنيون وقبور على مرمى البصر ,وحرب أهلية تحرق الأخضر واليابس يكيد فيها الأخ لأخيه ولا يرتاح إلا إذا سرق منه بيته وحياته وحبه وأسكن في قلبه حقدا لا يمحى سيوقظه قتلة قادمون يشيدون به خرابهم السري، وحرب أخيرة هي الحرب الصامتة التي لا أحد يستطيع توصيفها لأنها من غير ضجيج ولا ملامح، وعمياء كلما لامسناها غرقنا في بياض هو بين العدم والكفن . فالحروب ، أيا كان نوعها ليست فقط ما يحرق حاضرنا، ولكنها أيضا ما يستمر فينا من رماد حتى بعد خمود حرائق الموت في ظل ظلمة عربية تتسع بسرعة الدهشة والخوف".[1].

حاول الروائي واسيني الأعرج خلق عالم سردي تتداخل فيه مجموعة من التقنيات الإبداعية معتمداً على الوصف والحوار والمونولوج الداخلي الشخصية الساردة" ياما" والتي حلّت في أحيان كثيرة محل الراوي، إذ أخذت مبادرة الحكي والكلام مفصحة عن موقفها وأسئلتها وشكوكها، وهذا ما يعكس الوعي الأدبي والفني العميق للروائي، إذ يهدف إلى نقد الواقع ومواكبة التحولات الطارئة على المجتمع الجزائري من جهة ومحافظاً ومتفرداً في نسج خيوط السرد موظفاً تقنيات تضمن للنص جماليته وفنيته ورمزيته ،فالرواية كما يقول ميخائيل باختين هي: "النوع الأدبي الذي ما زال قيد التشكيل، فإنها تعكس شكل أساسي وبعمق ودقة سرعة تطور الواقع نفسه، وما هو قيد الشكل يستطيع وحده أن يفهم ظاهرة الصيرورة"[2]، بأن يتتبع العناصر المتنافرة والمتباعدة المشكلة للواقع الراهن، وان يستطيع التعبير عن الواقع الخفي في نظرة تتجاوز ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون بتقديم رؤية استشراقية مستقبلية لهذا الواقع وهذا ما أراده واسيني الأعرج حين أكد ضرورة تجاوز الإنسان حالة العزلة كي يشعر بنفسه ينقذها من احتمالات الضياع في مجتمع لا يبذل جهداً في إنقاذه، ويتجلى هذا بوضوح في الأمل الذي يبثه في نهاية روايته عندما تختار"ياما" مقاومة السقوط في الهاوية والخروج من هاوية اليأس والكآبة من العالم الافتراض إلى الحياة الحقيقية" لأول مرة أحسّ بنفسي خارج كل

---

[1] واسيني الأعرج، مملكة الفراشات، دار الآداب ، بيروت، ط02، 2014، ص06.

[2] ميخائيل باختين، الملحمة والرواية، تر: جمال شحيد، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1982،01.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ISSN : 2353-046
المجلد5 ، العدد10، (جوان 2017) EISSN : 2600-6421

قيد، وأنّي أصبحت امرأة من مطر وكلمات وحرائق"[1] بعدما كان"الحاسوب الوسيلة الوحيدة لرؤية الحياة".

تلاشي الشخصيات

وتحولاتها في رو اية مملكة الفراشة:

تمثل الشخصيات عنصرا مهماً وفعالاً في بناء العمل الروائي، فمن غير الممكن وجود رواية دون شخصيات تتحكم في مقاليد السرد، والحدث، وتنظم الأفعال وتمدُّ الرواية ببعدٍ حكائي، إذ تمثل العنصر الأهم الذي تتقاطع عنده العناصر الشكلية الأخرى"إذ لا رواية بلا أشخاص فهم ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا ،وعن ديناميكية الحياة وواقعيتها، وتفاعلاتها[2]، وما يميز شخصيات هذه الرواية تمرُدها ويأسها من الواقع وهروبها الدائم إلى عالم تختاره هي أم يفرضه عليها هذا الواقع من العزلة القاتلة، مع رفضها وثورتها على نفسها وعلى كل من حولها وهذا ما يتجلى في أسماء الشخصيات في ذاتها، فلذلك ارتأينا تتبع أبعادها الاجتماعية والتاريخية والنفسية.

1- **شخصية "ياما"**: وهي الشخصية التي تولت السرد في الرواية مستخدمة ضمير المؤنث المفرد مما يدخلها في علاقة حميمية مع المتلقي من خلال الاتصال المباشر بينهما، وهي فتاة مثقفة قارئة للكثير من الأعمال الأدبية،عازفة كلارينات ناجحة في ديبو جاز، تابعت مهنة أبيها بنزاهة واستقامة ففتحت صيدلية متواضعة لبيع الأدوية وإنقاذ حياة الناس، تصوّر "ياما" ذلك الخراب الذي أحدثته الحرب الأهلية في نفوس الجزائريين"صحيح أن اليوم لم يبق الشيء الكثير من تلك الحرب المجنونة إلاّ بعض جنونها، ولكن تصليح الداخل يحتاج إلى زمن كاف ولأجيال تمسح كل الخراب تسببت فيه سواء كانت ضحية منتقمة أم جلادة قاتلة / الرواية 375.

عاشت الشخصية البطلة داخل الرواية في عالمين عالم حقيقي نقلت من خلاله حقيقة الحرب الأهلية وحرب مافيا والأدوية وحتى حقيقة موت والدها، ولكن سرعان ما تنتقل إلى عالم آخر عالم افتراضي فهي تهرب من مدينتها التي توفر الرُّعب والخوف

---

[1] واسين الأعرج، الرواية، ص416.

[2] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط01، 2010، ص173.

والموت إلى مملكتها الزرقاء أين تعرّفت إلى مسرحي جزائري اسمه"فادي" ولقبتهُ بفاوست يعيش خارج الوطن ويخطط للعودة إليه لعرض إحدى مسرحياته لتكتشف في النهاية أنّ فاوست ليس هو صاحب صفحة الفايسبوك، بل هو متزوج وأب لطفل، وأن أحد أقاربه ينتحل شخصيته، فكانت صدمتها كبيرة، ولكنها حاولت أن تتقبَّل في الأخير ما جرى.

تتميز "ياما" بثقافتها الغربية وهذا ما يتجلى بوضوح بين صفحات الرواية وعزفها في فرقة ليبو-جاز على آلة الكلارينات وهي" آلة ملحمية مثل الصانجات والترومبيت والطبول صوتها هو صوت الحبُّ البطولي...هذه الآلة الأنيقة القوية والفنية في أصواتها النادرة عندما تستعمل ضمن المجموعة تستعيد في حالة الانفراد النعومة والانخطاف والعذوبة الغامضة، وكل ما ضيعته من قوة ودهشة وهي في المجموعة...."[1]، فالموسيقى التي تحدثها هذه الآلة في تجانسها مع الآلات الأخرى غريبة عن الموسيقى العربية وعن ثقافتنا العربية.

وما يؤكد انتمائها لثقافة الآخر هوسُها بتغيير أسماء الشخوص والذي يحدد هروبها وتنكرها لربما من حقيقة تاريخية أو اجتماعية أو ثقافية "أتساءل أحياناً من أين جاءتني لعبة الأسماء؟ ربما من ما قرأت؟"[2]،"باستثناء جنون الأسماء الذي ينتابوني..."[3]، فشخصية الأب" زبير" استعارت لها "ياما" اسما رأت فيه شخصية والدها أكثر فسمّتهُ باب "زوربا"، " سميته بابا زوربا لأني أشعر دائماً بأنّ اسم زبير إجحاف في حقه"[4]، وإذا تتبعنا مرجعية اسم زبير التاريخية نجدها تلتقي بشخصية الصحابي "الزبير بن العوام" الأسدي القرشي، كان من أهم وأفضل الفرسان في زمانه، في حين أن"زوربا" فهو شخصية إغريقية في إحدى روايات"نيكوس كزانتزاكي" كاتب يوناني، وهي شخصية غارقة في المجون واللذة محباً للمراهقات والأرامل"زوربا هذا رجل بلا مخ وفاسق، على الأقل كان يشوف امرأة توالمه لسنه، يتصابى على المراهقات والأرامل والعشيقات التائهات"[5].

فالعجيب في الأمر هذه المفارقة ، إذ أن الشخصية الراوية تكره أن يكون أبها زبير بن العوام ليكون زوربا إذ تقول "لا أريد لوالدي أن يكون الزبير بن العوام، لا أكره هذا

---

[1] الرواية، ص17.

[2] الرواية، ص83.

[3] الرواية، ص97.

[4] الرواية، ص82.

[5] الرواية، ص86.

الصحابي الجليل أبداً ولكني أكره الحروب، وأكره الاستشهاد أو الموت المقدس وأمقت الدم"[1]، ولكن حرب زبير بن العوام كانت حرب دين كانت حرباً مشروعة بل مقدسة، إذ حمل لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين، أما الحرب الأهلية فهي حرب خبيثة لا دين لها ولا قيم ، فالعلاقة بينهما علاقة تنافر تام، والواضح من كل هذا أنّ "ياما" متأثرة بكل ما هو غربي من أدب وثقافة وانتماء وهذا ما يعكس في صورة خفية فكر الروائي أيضاً وثقافته لأنه هو من صنع ياما ولقنها ما تقول وما تفعل .

عاد الزوبير إلى أرض الوطن محملاً بقيم إنسانية عالية وبقوة بناءة ليتعامل مع شركة صيدال للأدوية، إلاّ أن مافيا الأدوية وعصابات الفساد على حد تعبير "ياما" هددت كثيرا في التخلي عن ما يصبوا إليه من تغيير للوضع ومحاولة السمو بواقع الداء والدواء في الجزائر، إلى أن انتهى به الأمر إلى إحراق المخبر، وهدر دمه، وما أثار دهشة "ياما" هو التحقيقات التي أجريت في أمر الاغتيال فقد فوجئت بالتجني المقصود على الحقيقة، فقد قال المحققون أن أباها أصيب بسكتة قلبية اصطدم على إثرها بالجدار الإسمنتي فشج رأسه وأحدث رضوضاً وجرحاً عميقا على مستوى الجبهة والقفا والدماغ، فالواضح من كل هذا أن الأمر ظل طي السّتر، وهذا واقع عاشه الجزائريون مرات عديدة وتعود"ياما" لنقد الواقع الأليم فتقول"فغرت فمي من شدة الدهشة هل يمكن أن يكون الكذب الرسمي إلى هذا الحد، حتى في الكذب ليسوا أذكياء أبدا"[2]، فالملفت للانتباه والذي يمثل حقيقة قارة عايشها الجزائريون لفترة طويلة ولا يزال يعايشونها هو" الكذب الإعلامي" الذي يمثل استغباء عقول تبحث عن الأمان والعدالة والحق" يا بابا كلهم منتصرون وكلهم منهزمون المنهزم الوحيد في مثل هذه الحروب هم نحن لأننا نرى أكثر مما يجب، ونصرخ أكثر مما يجب، وربما حب أيضا أكثر مما يجب[3].

في الحين ذاته تمثل شخصية الأم "فريجة"شخصية رئيسية ولم تسلم حتى هي من لعبة الأسماء فاسمها المستعار "فيرجي" وهو اسم شخصية روائية أيضا "لا أدري لماذا يوم قرأت رواية الأمواج التي جاءتني بها أمي وهي تصرُّ عليَّ كالعادة بضرورة اكتشافها شعرت بشيء غريب في عينيها يُشبه الموت غرقاً، مع أني لم أكن أعرف الشيء الكثير عن نهاية فرجينيا وولف أعتقد أنه من يومها ترسّخ لدي اسم أمي الجديد "فيرجي"، من يومها

---

[1] الرواية، ص85.

[2] الرواية، ص104.

[3] الرواية، ص102.

نسيت اسمها الأصلي فريجة" [1] هي شخصية مثقفة ثقافة فرنسية، رفضت الخروج من البيت للعمل وهي مدرسة لغة فرنسية، فكان ذلك بوابتها إلى عالم مليء بالجنون والتلاشي فانهارت في الفضاء الروائي للروائية فرجينيا وولف التي أنهت حياتها بالانتحار، وبعد ذلك انغمست في عالم الروائي "بوريس فيان" إلى درجة الفناء والضياع، عشقت عالمه بلهفة شبقية لدرجة التنكر للزوج" زوربا" لو كان حبيبي بوريس حياً لطلقت من ميشيل وأورسولا وسحبته نحوي ، لم أخن والدك ولا مرة واحدة في حياتي ولكن مع بوريس أنا متأكد من أني سأخونه بلا تردد ولا عقدة ضمير"[2]، وهذا ما جسد افتتانها العبثي ، إلى حين انتهى مصيرها في النهاية إلى موت بين أطياف المجهول والانفصام.

ونصطدم مرة أخرى بلعبة الأسماء "فماريا" توأم الساردة والتي لقبتها بـ"كوزيت" غادرت الوطن متجهة إلى مونتريال متناسية ولاءها للعائلة حاقدة ومتذمرة ومستاءة من كل أفراد عائلتها وخاصة الأخ" ريان" الذي اتهمته بمحاولة اغتصابها، ولكن الأم وقفت ضدها وبرءته، وهذا ما زاد في تنصلها من هذه العائلة، فقد رفضت زيارة قبر أمها حين عودتها إلى أرض الوطن لاقتسام تركة أمها، بل وقد أعدت الوثائق القانونية اللازمة لتثبت أن أخاها "ريان" مجنون ، فكوزيت هذه الشخصية تعاني حرب انتماء فقدابتعدت عن كل قيمها وتاريخها وحتى جذورها العائلية ، فمشكلتها تمثل مشكلة انتماء والانسلاخ عن الهوية، فهي تموت تاريخيا وإنسانيا.

أما الأخ "ريان" والذي يمثل الشخصية الذكورية الوحيدة بعد الأب زوربا داخل الرواية ، مولع بحب الخيول مما شكل له صدمة قوية نتيجة احتراق الحظيرة التي يشتغل فيها، لم يتقبّل الواقع فأدمن على المخدرات إلى أن انتهى مصيره إلى السجن فساءت حالته النفسية والصحية إلى درجة منع والدته وأخته من زيارته، ولم يحدّد الروائي نهايته.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن عزلة هذه الشخصيات وتيهها وانفصامها يرجع بالضرورة إلى غياب تشبثها بغذاء روحي يطعِّمها من مآسي الحياة، فالدين يمثل عنصراً هاماً في استقرار النفوس والأرواح لأنه يشكل استسلاما في كل وقت لله عز وجل، إلا أننا نجد في الرواية نظرة سلبية فقط لهذا الجانب الديني حتى في توظيف القرآن الكريم، إذ تقول ياما" لا أدري السبب بالضبط ولكن الغريب كلما سمعت قراءة القرآن انتابتني بسرعة حالة خضوع مباشر للموت بلا أدنى مقاومة، وكأن القرآن يجعل الموت مستساغاً، بل

[1] الرواية، ص125.

[2] الرواية، ص128.

مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ISSN : 2353-046
المجلد5 ، العدد10، (جوان 2017) EISSN : 2600-6421

نصبح بسرعة في الضفة الأخرى"[1]، فالقرآن دستور الحياة بشكل عام ولا يمكن أن ننظر إليه هذه النظرة السلبية القاتمة ، وتقول في مقام آخر "أقرأه من حين لآخر عندما تنغلق سبل الدنيا في وجهي ، أجد في القرآن الكريم أحياناً بعض الراحة"[2].

وفي الأخير يتجلى بوضوح محاولة الروائي رسم شخوص تتعدى الواقع في محاولة الخلاص، تريد بناء عالم افتراضي هروباً من عالمها الحقيقي ولكنه هروب مأساوي مميت خلّفته حرب جاهلة" مجتمع يركض بخطى حثيثة نحو حتفه..."[3] إذ تضع هذه الرواية قارئها في صورة تداعيات الحروب الأهلية وتأثيرها على دواخل الإنسان" أحاول أن أنسى كل شيء وأعبر مثل الفراشة فوق ألسنة النار أن أنام وسط ألوان يخلقها قلبي ويؤثثها جنوني الخفي.."[4]

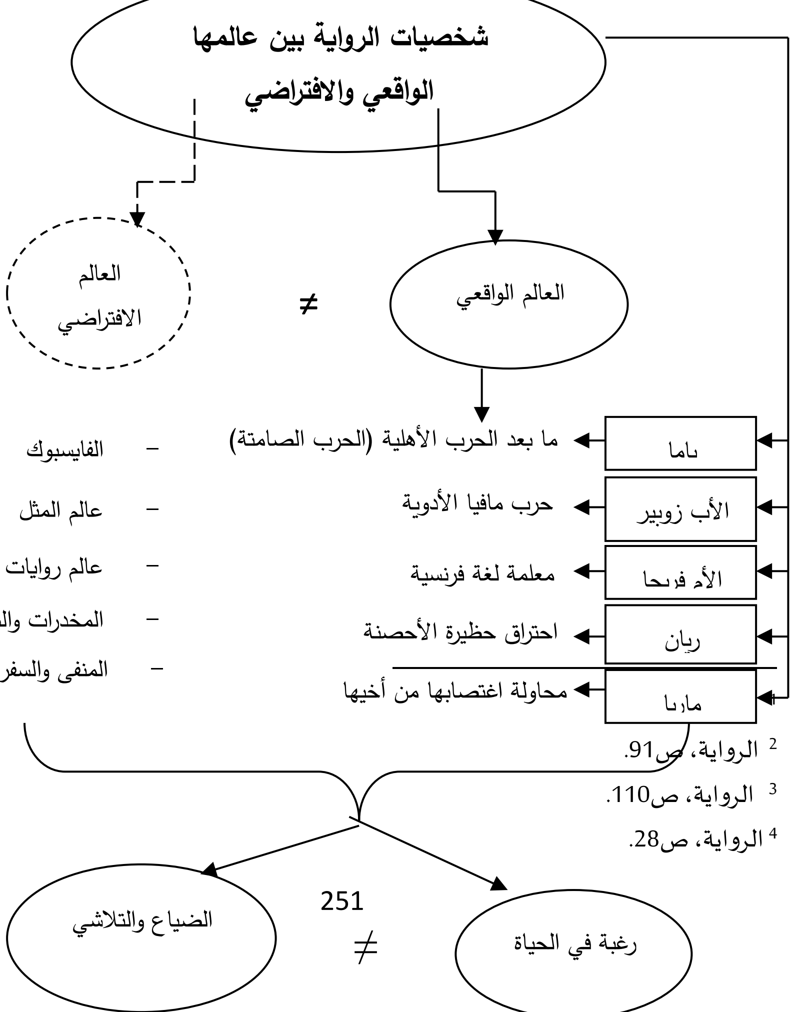

[2] الرواية، ص91.
[3] الرواية، ص110.
[4] الرواية، ص28.

هي شخصيات هشة تتلاشى تعيش في مجتمع يفتقد الأمان النفسي يغرق في الانتهازية والأنانية، يزرع أخلاقيات الفساد والفوضى في جل قطاعاته"مستشفياتنا الرطبة والمتسخة تمنح المريض فرصة لتعلّم ثقافة جديدة وهي تقبّل الموت بمجرد تخطّي عتبة قاعة العمليات"[1].

هذا التماهي بين الشخصيات الورقية التي اصطنعها الروائي ، وبين شخصيات واقعية متخيلة هو ما جعل هذا المتن عملاً متميزاً ، وأضفى عليه بعداً رمزيا جعله أكثر تأثيراً وثراءًا.

جاء بناء الرواية في نسق سردي متجانس تصاعدي ، لكن الروائي أبدع في استخدام تقنيات ترتبط بالاسترجاع أو التذكر من خلال الرجوع إلى الماضي لأجل تكسير خطية الزمن، فالرواية ذات بناء زمني ثنائي هو الزمن الحاضر والزمن الماضي، وفي بعض

[1] الرواية، ص111.

الأحيان المستقبل، فقد تلاعبت الشخصية الراوية "ياما" بخيوط الزمن لخدمة الحدث السردي فهي تعود تارة لتذكر ما مضى كموت أبيها وسجن أخيها، وتعود إلى الحاضر تارة أخرى كسعيها لتأمين الأدوية المفقودة في السوق ، وكذا العمل مع الفرقة الموسيقية.

في الحين ذاته وعلى المستوى المكاني نلحظ أن جمة البداية كانت من الخارج نحو الداخل ما يعكس الخوف من القتل والاغتيال، على عكس جملة النهاية التي كانت من المكان المغلق إلى المكان الخارجي المفتوح الذي يحمل للبطل عالم من الرقص ورغبة في الحياة بعيداً عما يحمله الواقع من رائحة الموت ومتاهات الضياع، فالمطر في آخر الرواية كان رمزاً لتطهير النفس ومحاولة العطاء من جديد "فضلت أن أمشي تحت المطر حتى أجد تاكسي يأخذني نحو الجسر، ربما لأول مرة أحسُ بنفسي خارج كل قيود اللغة وزرقة مارك زوكير بيرغ الآسرة، وأني أصبحت بشراً حقيقياً"[1]، فقد حاولت الشخصية التمرّد والخروج من شرنقة الواقع لتطير بروح جديدة وبهشاشة الفراشة، تدل كلمة" جسر" على الوقوف بين ضفتي الحياة، بين واقع واقف بين زمنين فلم يحقق العبور من ضفة الزمن الأول وهو زمن الحرب الأهلية والضفة الثانية وهي زمن الحرب الصامتة أو الحياة الجديدة، فلحظة التيه بين العالمين هي اللحظة التي انبنت عليها الرواية وحاولت أن تجسدها من خلال لغتها التي تحمل قيمة فنية راقية في معطياتها وصياغتها وجمالياتها، فترقى شعرية السرد زيادة على استخدام الروائي للغة الفرنسية في مواقف عدة مما اضطرّه إلى ترجمتها في الهامس والذي يظهر بصورة كبيرة في الرواية سواء للتعريف بشخصيات أو بشرح لبعض الألفاظ أو حتى لمواطن الأخرى، فهذه العتبة النصية هي تقنية جديدة مستحدثة في الكتابة الروائية تستدعي التوقف والدراسة.

على سبيل الختام

"مملكة الفراشة" رواية البحث عن الذات في عالم تملؤُهُ الحروب بأنواعها المختلفة تحي حياة كل عربي متمرّد ضد واقعه المرير، هي رواية التلاشي بين طيّات الروح والجسد، تقف الراوية على مأساة العنف والدّمار، وتعاين الخوف من الموت المحتمل إلاّ أن ما جعلها رواية ذات قامة فنية متميزة ليس نقد الواقع والأوضاع، بل نجاح الكاتب في رسم عالم سردي متشابك في حيثياته مبني على جدلية الواقع والكتابة الفنية المشفوعة باعتناق المشاعر والأفكار في لحظات التحرر من الذات.

[1] الرواية، ص413.